أَلعِلاقاتُ الدَّلَالِيَّةُ وَأَثَرُها في التَّماسُكِ النَّصِّيِّ
فِي سُورَةِ (هودٍ) وَأَخَواتِها

أ.م.د.علاء الدّين هاشم الخفاجيّ م.م.سعيد عكاب عبد العالي
جامعة كربلاء–كليّة التّربية للعلوم الإنسانيّة

فحوى البحث

بحث متماسك يلقي فيه السيد الباحث الضوء على موضوعة التماسك النّصي (ربط وحدات النص بعضها ببعض دلاليا) في سورة هود المباركة وسور أخرى (الواقعة والنبأ وغيرها). وقد استطاع الباحث من إثبات أن التماسك النصي في هذه السورة المباركة قد تحقق في خمسة محاور رئيسة، فصّل الحديث فيها، ومنها:

- محور علاقة الإجمال والتفصيل.
- محور علاقة السبب بالنتيجة.
- محور علاقة العموم والخصوص.
- محور علاقة السؤال والجواب.
- محور علاقة الشرط والجواب.

وذُيّل البحث بخاتمة ومسرد للمصادر.

الملخّص:

تحاول هذه الدّراسة أنْ تلقي الضّوء على سورة (هودٍ وأخواتها)، وذلك بمفهوم التّماسك النّصّيّ الّذي يقوم بربط وحدات النّصّ بعضها ببعضٍ دلاليًّا، وقد تبيّن لنا أنّ التّماسك النّصّيّ في هذه السّور المباركة قد تمثّل في خمسة محاور رئيسةٍ هي:

١. محور علاقة الإجمال والتّفصيل: تبيّن في هذا المحور مدى أهمّيّة هذه العلاقة في ربط عرى النّصّ لدى المتلقي، فضلًا عن انسجام المعاني ووضحها لدى المتلقّي.

٢. محور علاقة السّبب بالنّتيجة: تناولت هذه العلاقة الدّلاليّة الرّبط بين مفهومين أو بنيتين أو حدثين، أحدهما ناتجٌ عن الآخر، فهي من العلاقات المنطقيّة الّتي تُعطي للنّصّ صفة المعقوليّة في تتابع القضايا النّصّيّة؛ ممّا يساعد على ربط أجزاء النّصّ وتماسكها، وترسيخ المعاني لدى المتلقّي.

٣. محور علاقة العموم والخصوص: وفي هذه العلاقة -الّتي تعني اشتمال أحد المفهومين أفرادًا من المفهوم الآخر- يتّضح لنا مدى مساهمتها في التّرابط والتّماسك بين جمل النّصّ القريبة والبعيدة، فضلًا عن وضوح الفكرة وانسجامها.

٤. محور علاقة السّؤال والجواب: شكّلت هذه العلاقة الدّلاليّة عاملًا مهمًّا في الرّبط بين القضايا داخل النّصّ، كما أنّها أسهمت بشكلٍ واضحٍ في ربط النّصّ بالسّياق في ضوء إحالة النّصّ على العالم الخارجيّ، أو الظّروف الاجتماعيّة.

٥. محور علاقة الشّرط بجوابه: وهي من العلاقات الدّلاليّة الّتي تُسهم في بناء النّصّ، ولكنّها لا توجد بشكلٍ أساسيٍّ؛ لأنّ تواردها يقلّ نسبيًّا عن باقي العلاقات.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحَمدُ لله ربِّ العَالمينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ على أَشرفِ الأنبياءِ والمُرسلينَ، محمَّدٍ وآلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهرينَ وأصحابِهِ المنتجبينَ.

أمّا بعد؛ فإنّ للتّماسك النّصّيّ وسائل كثيرة، منها ما يكون لغويًّا، ومنها ما يكون معنويًّا، وتعدّ العلاقات الدّلاليّة من أفضل وسائل الرّبط الدّلاليّ بين وحدات النّصّ، فهي تجمع أطراف النّصّ أو تربط بين أجزائه، غير ناظرةٍ إلى الوسائل الشّكليّة الّتي تُعتمد في ربط وحدات النّصّ[1]، فهي تمثّل ((علاقاتٍ ضمنيّةٍ يضيفها المتلقّي على النّصّ، ويستطيع بها أنْ يوجد للنّصّ مغزًى بطريق الاستنباط، وهنا يكون النّصّ موضوعًا لاختلاف التّأويل))[2].

وتمثّل العلاقات الدّلاليّة عاملًا مهمًّا في انسجام النّصّ، إذ إنّ المتلقّي ((يبني تمثيلًا للمعلومات الّتي يحتويها النّصّ، والخاصيّة الأساسيّة لهذا التّمثيل المعرفيّ هي أنّه يدمج القضايا المفردة المعبّر عنها بالنّصّ في كلٍّ أكبر، وهذا جزءٌ هامٌّ من عمليّة فهم النّصّ))[3].

وهذه العلاقات لا يكاد يخلو منها نصٌّ لغويٌّ، فهي تربط بين أجزائه ربطًا قويًّا؛ فيُبنى بوساطتها اللّاحق على السّابق[4]، وقد أكّد علماء النّصّ على أهمّيّة تلك الرّوابط؛ لما لها من دورٍ كبيرٍ في بناء النّصّ، وسيقف البحث على مجموعةٍ من هذه العلاقات الدّلاليّة الّتي برزت في موضوع هذا البحث(سورة هودٍ وأخواتها)، وهي: علاقة الإجمال والتّفصيل، وعلاقة السّبب بالنّتيجة، علاقة العموم والخصوص، وعلاقة السّؤال والجواب، وعلاقة الشّرط بجوابه، ثمّ يعرض أهم النّتائج في الخاتمة.

علاقات الرّبط الدّلاليّة:

١. **علاقة الإجمال والتّفصيل:**

وهي من العلاقات المهمّة في التّحليل

(١) ينظر: لسانيّات النّصّ، محمد خطابيّ: ٢٦٨.
(٢) نحو أجروميّة للنّصّ الشّعريّ، سعد مصلوح: ١٥٤.
(٣) علم لغة النّصّ، عزّة شبل: ١٨٥.
(٤) ينظر: لسانيّات النّصّ، محمد الخطّابي: ٢٦٩.

النّصّيّ، وتعدّ واحدةً من روابط أجزاء النّصّ، فهي ((تعني إيراد معنًى على سبيل الإجمال، ثمّ تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه))[٥]، بمعنى أنْ يأتي الباث بالقضيّة مجملةً ثمّ يعيدها مفصّلةً، ممّا يساعد على تماسك أجزاء النّصّ، بأخذ بعضها برقاب بعضٍ، فضلًا عن انسجام المعاني ووضوحها لدى المتلقّي.

وقد يكون الأمر معكوسًا، أي: تأتي القضيّة مفصّلةً ثمّ تعاد بنحوٍ مجملٍ، وهذا يسهم بشكلٍ كبيرٍ ((في جمع الأبنية النّصّيّة وصولًا إلى البنية النّصّيّة الكبرى))[٦]، وكذلك يكون أشدّ وقعًا على نفس المتلقّي؛ ((لأنّ للإجمال بعد التّفصيل وقعًا من نفوس السّامعين))[٧].

وممّا جاء من هذه العلاقة في سورة هود وأخواتها في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [سورة هود: ١٢].

في الآية الكريمة إشارةٌ لما كان يعاني منه رسول الله ﷺ من عناد المشركين وكيدهم، بمعنى: فلعلّك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتّكذيب تتوهّم أنّهم يزيلونك عمّا أنت عليه من الهدى، أو كان معناه: أن يدع سبّ آلهتهم، فيحمل الكلام معنى الاستفهام، أي: هل أنت تاركٌ ما فيه سبّ آلهتهم كما سألوك؟. وتأكّد عليه الأمر في الإبلاغ[٨].

نلمس في الآية المباركة إجمالًا يعقبه التّفصيل، فقد جيء بالضّمير المجرور بالباء في لفظة (به)، العائد على ما بعده (أنْ يقولوا)، ثمّ أُبدل منه؛ لقصد الإجمال الّذي يعقبه التّفصيل؛ ليكون أشدّ تمكّنًا في الذّهن، وتنبيهًا على الاهتمام بالمتعلّق[٩]، فضلًا عمّا في الإجمال والتّفصيل في النّصّ الكريم من قوّة ربطٍ بين وحداته، وانسجام

(٥) البديع بين البلاغة واللّسانيّات النّصّيّة، جميل عبد المجيد: ١٤٦.
(٦) خطاب الضّعف في القرآن الكريم، دراسة في ضوء علم لغة النّصّ (أطروحة دكتوراه)، وسن عبد علي عطية: ١١١.
(٧) التّحرير والتّنوير، ابن عاشور: ١/ ٣٠٢.
(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ: ٩/ ١٢.
(٩) ينظر: التّحرير والتّنوير، ابن عاشور: ١٢/ ١٧.

معانيه، وشدّ انتباه المتلقّي وتشويقه لمعرفة التّفصيل.

وجاء في سورة الواقعة قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ٦١ -٦٢].

بيّنت الآية الكريمة قدرة الله (جلّ جلاله)، وتصرّفه في خلقه، فلو شاء أنْ يُميتهم ويخلق أمثالهم لفعل ذلك، ثمّ يُنشئهم في ما لا يعلمون من الهيأة والصّورة، فيجعلهم في صورة القردة والخنازير، وفي مكانٍ من عالمٍ لا يعلمونه[١٠]، فهو القادر على كلّ شيءٍ، ولا يفوته شيءٌ من خلقه.

ثمّ ينتقل بنا النّصّ إلى دليلٍ آخر من دلائل قدرة الله في خلقه، إذ إنّ ((المراد بالنّشأة الأولى: نشأة الدّنيا، والعلم بها وبخصوصياتها يستلزم الإذعان بنشأةٍ أخرى خالدةٍ فيها الجزاء))[١١]، فدلّ وجود الحياة الدّنيا على وجود الآخرة.

(١٠) ينظر: تفسير القرآن، السّمعانيّ: ٥/ ٣٥٥.
(١١) الميزان في تفسير القرآن، الطّباطبائيّ: ١٩/ ١٣٨.

نلاحظ في النّصّ القرآنيّ المبارك أنّ في الآية الأولى من النّصّ ورد إجمالٌ، وفي الآية الثّانية تمّ تفصيله، ((فَالْعِلْمُ الْمَنْفِيُّ فِي قَوْله: ﴿ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الْوَاقِعَة: ٦١]، هُوَ الْعِلْمُ التَّفْصِيلِيُّ، وَالْعِلْمُ الْمُثْبَتُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾، هُوَ الْعِلْمُ الْإِجْمَالِيُّ، وَالْإِجْمَالِيُّ كَافٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى التَّفْصِيلِيِّ، إِذْ لَا أَثَرَ لِلتَّفْصِيلِ فِي الْاِعْتِقَادِ))[١٢]، وهنا جاء معكوسًا، أي: فصّل ثمّ أجمل القول، فالعلاقة لا تسلك دومًا الاتجاه نفسه (من المجمل إلى المفصّل)، بل قد تسلك سبيلًا مخالفًا (من المفصّل إلى المجمل)، فالتّرتيب الأوّل (معياريٌّ)، والثّاني (تداوليٌّ)[١٣]، ويأتي هذا التّرتيب لتحقيق غاياتٍ معيّنةٍ، أبرزها التّأثير في نفس المتلقّي[١٤]، فضلًا

(١٢) التّحرير والتّنوير، ابن عاشور: ٢٧/ ٣١٩.
(١٣) ونعني بالتّرتيب المعياريّ: هو ما يجري على أساس التّدرج من المستوى المعقّد إلى المستوى السّهل بغية تعلمٍ أو تعليمٍ، وأمّا التّداولي؛ فهو ترتيبٌ يجري من المستوى البسيط إلى ما هو أعقد. ينظر: من قضايا الفكر اللّسانيّ، صابر الحباشة: ٢١.
(١٤) ينظر: لسانيّات النّصّ، محمد خطابي: ١٨٩.

عن الإسهام بشكلٍ كبيرٍ في تماسك النّصّ وترابط أجزائه دلاليًّا.

أمّا في سورة (النّبإ)؛ فتتّضح تجلّيات علاقة الإجمال والتّفصيل في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾ [سورة النّبإ: ١ -٣].

وضّحت الآيات الكريمة ما جرى بين المشركين من تساؤلٍ عمّا جاء به الرّسول محمدﷺ، وما أتى به؛ فأنزل الله (جلّ جلاله) قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، وهو استفهامٌ أُريد به تفخيم الأمر وتعظيمه، ثمّ بيّن اختلافهم في ذلك الأمر، وأنّهم سيعلمون عاقبة تكذيبهم، حين تنكشف الأمور لهم، وهو وعيدٌ على أثر وعيدٍ[١٥].

نلمس في النّصّ المبارك إجمالًا يعقبه تفصيلٌ، إذ إنّ الاستفهام الوارد فيه لم يكن مُستعملًا في طلب الجواب، فكان إجمالًا لقصد التّفخيم، ثمّ عقبه الجواب التّفصيليّ لذلك الإجمال[١٦]، وبهذا تكون علاقة الإجمال والتّفصيل قد أسهمت بشكلٍ واضحٍ في إيجاد حالة الرّبط والتّماسك الدّلاليّ بين آيات النّصّ المبارك، كما ساعدت في شدّ انتباه المتلقّي نحو النّصّ.

٢. **علاقة السّبب بالنّتيجة:**

وهي العلاقة الدّلاليّة الّتي تربط بين مفهومين أو بنيتين أو حدثين، أحدهما ناتجٌ عن الآخر[١٧]، ومثال ذلك اجتهد الطّالب، فنجح في الامتحان، فكان الاجتهاد سببًا في تحصيل نتيجة النّجاح.

وهذه العلاقة تعدّ من العلاقات المنطقيّة الّتي تُعطي للنّصّ صفة المعقوليّة في تتابع القضايا النّصّيّة[١٨]، ممّا يساعد على ربط أجزاء النّصّ وتماسكها، وترسيخ المعاني لدى المتلقّي.

ووردت هذه العلاقة المنطقيّة في سورة هودٍ وأخواتها بشكلٍ بارزٍ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ

(١٥) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحديّ: ٤/ ٤١٢.

(١٦) ينظر: التّحرير والتّنوير، ابن عاشور: ٣٠/ ٩.

(١٧) ينظر: البديع بين البلاغة واللّسانيّات النّصّيّة، جميل عبد المجيد: ١٤٢.

(١٨) ينظر: الاتّساق والانسجام في رسائل الجاحظ(أطروحة دكتوراه)، سعيد عبد الحميد: ٢٠٣.

﴿ مُجْرِمِينَ ﴾[سورة هود: ٥٢].

نلاحظ في الآية الكريمة خطاب النّبيّ هودٍ عليه السلام مع قومه، إذ أمرهم بالتّوحيد والرّجوع إلى الله، بالتّوبة إليه من الشّرك، فـ((إنْ تبتم يغفر لكم ذنوبكم، ويرسل عليكم المطر متتابعًا دائمًا، كلّما تحتاجون إليه، و(وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ)، يعني: شدّة مع شدّتكم بالماء والولد، ويقال: صحّة الجسم، وطول العمر، (وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ)، يقول: لا تعرضوا كافرين))[١٩].

نلمس في النّصّ القرآنيّ المبارك أنّ إنزال المطر، وزيادة القوّة كانت منوطةً بالاستغفار والتّوبة من الشّرك، بمعنى: أنّ الاستغفار والتّوبة سببٌ لحصول ذلك العطاء الإلهيّ المتمثّل بإنزال المطر وزيادة القوّة، فكانت الجملة الأولى سببًا نتجت عنه الجملة الثّانية، فترابطت الجملتان بوساطة تلك العلاقة المنطقيّة (علاقة السّبب بالنّتيجة) الّتي أدّت إلى تماسك النّصّ دلاليّا.

وجاء في السّورة نفسها قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾[سورة هود: ٦٥ -٦٧].

جاء الرّبط بهذه العلاقة الدّلاليّة في النّصّ المبارك واضحًا، فجملة (فعقروها) كانت سببًا في نتيجة هلاك القوم الظّالمين في جملة (وأخذ الّذين ظلموا الصّيحة)، إذ إنّهم عقروا النّاقة الّتي كانت لهم آيةً، وقد أُمروا بأنْ لا يمسّوها بسوءٍ، ولكنّهم خالفوا أمر نبيّهم، وعصوا ربّهم، فأمهلوا ثلاثة أيّامٍ، وبعدها يُهلكون[٢٠]، فربطت علاقة (السّبب بالنّتيجة) بين الآيتين رغم الفاصل الوارد بينهما.

وأمّا جملة (نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) كانت نتيجةً لجملة (بِرَحْمَةٍ مِنَّا)، إذ إنّ ((الْبَاءُ فِي (بِرَحْمَةٍ مِنَّا) لِلسَّبَبِيَّةِ، فَكَانَتْ

(١٩) بحر العلوم، السّمرقنديّ: ٢/ ١٥٥، وينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثّعلبيّ: ٥/ ١٧٤.

(٢٠) ينظر: مدارك التّنزيل وأسرار التّأويل، البيضاويّ: ٣/ ١٤٠.

رَحْمَةُ اللهِ بِهِمْ سَبَبًا فِي نَجَاتِهِمْ))[٢١]، وهنا تقدّمت جملة النّتيجة على جملة السّبب، ممّا لفت انتباه المتلقّي، وأسهم بشكلٍ كبيرٍ في ربط موضوع النّصّ، وانسجامه.

وظهرت علاقة (السّبب بالنتيجة) في سورة المرسلات في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة المرسلات: ٤٣].

في الآية الكريمة إشارةٌ إلى جزاء الّذين أمنوا واتّقوا في الحياة الدّنيا، فيقال لهم يوم القيامة: كلوا واشربوا هنيئًا بما قدّمتم لأنفسكم، فكانت ((الْبَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ، أَيْ: بِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ))[٢٢].

نلاحظ في النّصّ القرآنيّ المبارك أنّ جملة (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) كانت نتيجةً لجملة (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)، فبسب ما عملوه في حياتهم الدّنيويّة؛ حصلوا على ذلك العطاء الإلهيّ، والرّضا الرّبانيّ، فنلمس أنّ علاقة (السّبب بالنّتيجة) قد ساهمت في ربط الجملتين ربطًا دلاليًّا ومنطقيًّا، فضلًا عن تشويق المتلقّي لمعرفة السّبب الّذي جاء متأخرًا عن النّتيجة.

(٢١) التّحرير والتّنوير، ابن عاشور: ١٢/ ١٠٤.
(٢٢) فتح القدير، الشوكانيّ: ٥/ ٤٣٥.

٣. علاقة العموم والخصوص:

ونعني بالعموم: ((بالفتح وضمّ الميم في اللّغة الشّمول، يقال مطر عامّ، أي: مشتمل الأمكنة، وعند المنطقيّين هو كون أحد المفهومين اشتمل أفرادًا من المفهوم الآخر))[٢٣].

وأمّا الخصوص؛ فهو: ((أحديّة كلّ شيءٍ عن كلّ شيءٍ بتعيّنه، فلكلّ شيءٍ وحدةٌ تخصّه))[٢٤].

ويمكن تمثيل علاقة العموم والخصوص بنصٍّ شعريٍّ، فيكون العنوان دالًّا على العموم، وأمّا بقيّة النّصّ؛ فهي تخصيصًا لذلك العموم، وهكذا في بقيّة عنوانات مقاطع القصيدة، ترد عامّةً ثمّ تخصصها مقاطعها[٢٥].

(٢٣) كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التّهانويّ (ت١١٥٨هـ): ٢/ ١٢٣٤.
(٢٤) التّعريفات، الجرجانيّ: ٩٨، وينظر: التّوقيف على أمّهات التّعاريف، زين الدّين المناوي: ١٥٥.
(٢٥) ينظر: لسانيّات النّصّ، محمد خطابي: ٢٧٢.

وعند التّحليل النّصّيّ لسورة هودٍ وأخواتها، نجد أنّ علاقة العموم والخصوص قد عملت على الرّبط الدّلاليّ في تلك السّور، وممّا جاء منها في سورة هودٍ في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة هود: ٩ -١١].

وردت في النّصّ القرآنيّ المبارك روابط ظاهرةٌ ومستترةٌ، فأمّا الظّاهرة؛ فهي الشّكليّة المتمثّلةً بالتّكرار، والوصل، وأمّا المستترة؛ فهي العلاقة الدّلاليّة الّتي ربطت وحدات النّصّ بالكامل، وهي علاقة (العموم والخصوص)، فقد تناول النّصّ ما يصيب الإنسان من الرّحمة، وهي الرّزق، ثمّ إذا سُلب منه ذلك الرّزق فإنّه شديد اليأس من رجوعه إليه، فإذا مَنّ الله عليه بالصّحة والرّزق بعد مرضٍ وفقرٍ فإنّه يفرح ويتفاخر على أولياء الله، بعد ذلك استثنى الله مجموعةً من العباد الصّابرين والعاملين الصّالحات بأنّهم فائزون بمغفرة الله ورضوانه[٢٦].

نلحظ في النّصّ القرآنيّ الكريم أنّ علاقة (العموم والخصوص) قد بدت واضحةً، إذ إنّ لفظة(الإنسان) جاءت عامّةً؛ بدليل الألف واللّام المراد بهما الاستغراق، ثمّ يأتي بعد ذلك الاستثناء الدّال على الخصوص، أي: يخرج من ذلك العموم مجموعةٌ من العباد، وهم الصّابرون والعاملون الصّالحات[٢٧]، فاستعمال اللّفظ العامّ في بداية النّصّ، وتخصيصه في نهايته، كوّن ترابطًا وتماسكًا بين جمل النّصّ القريبة والبعيدة، فضلًا عن وضوح الفكرة وانسجامها.

وجاء في السّورة نفسها قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود: ١٥ -١٦].

(٢٦) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحديّ: ٢/ ٥٦٦.

(٢٧) ينظر: التّحرير والتّنوير، ابن عاشور: ١٢/ ١٢.

بيّن النّصّ القرآنيّ المبارك مصير الّذين يبيعون آخرتهم بدنياهم، فمن ((كان يريد بعمله الدّنيا، ولا يريد به وجه الله تعالى، ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ يعني: ثواب أعمالهم في الدّنيا، ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ يعني: لا ينقص من ثواب أعمالهم شيءٌ في الدّنيا))[٢٨]، ثمّ انتقل الكلام إلى ما يجري على هؤلاء الّذين أخلدوا إلى الحياة الدّنيا بـ((أنّهم إذا وردوا الحياة الآخرة وقعوا في دارٍ حقيقتها أنّها نارٌ تأكل جميع أعمالهم في الحياة، كما تأكل النّار الحطب، وتُبير وتُهلك كلّ ما تطيب به نفوسهم من محاسن الوجود، وتُحبط جميع ما صنعوا فيها وتُبطل ما أسلفوا من الأعمال في الدّنيا؛ ولذلك سمّاها سبحانه في موضعٍ آخر بدار البوار[٢٩]، أي: الهلاك))[٣٠].

نلحظ في النّصّ القرآنيّ الكريم أنّ الآية الأولى منه ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا...)) وردت بصيغة العموم، أي: أنّها عامّةٌ في جميع الخلق، في المؤمن والكافر والصّدّيق والزّنديق، لأنّ كلّ أحدٍ يريد التّمتّع بلذّات الدّنيا وطيّباتها والانتفاع بخيراتها وشهواتها، وأمّا الآية الثّانية من النّصّ ((أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ...))؛ فقد دلّت على الخصوص؛ لأنّ ذلك لا يليق إلّا بالكفّار، فيكون المراد من هذا العامِّ الخاصَّ، وهو الكافر[٣١]، وبذلك اجتمعت علاقتان دلاليّتان لتحقيق التّماسك النّصّيّ بين مكوّنات النّصّ القرآنيّ، إحدى هذه العلاقات هي علاقة السّبب بالنّتيجة؛ إذ إنّ إرادتهم للأعمال الدّنيويّة الّتي أبعدتهم عن الرّضا الإلهيّ؛ كانت سببًا في دخولهم النّار، وأمّا العلاقة الثّانية؛ فهي علاقة العموم والخصوص الّتي أسهمت في انسجام النّصّ، وترابط أجزائه وتماسكها دلاليًّا.

وأمّا في سورة النّبإ؛ فقد جاءت

(٢٨) بحر العلوم، السّمرقنديّ: ٢/ ١٤١.

(٢٩) وردت لفظة البوار في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ في [سورة إبراهيم: ٢٨]، وتعني: الهلاك، ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثّعلبيّ: ٥/ ٣١٥.

(٣٠) الميزان في تفسير القرآن، الطّباطبائيّ: ١٠/ ١٦٨.

(٣١) ينظر: التّفسير الكبير، الرّازيّ: ١٧/ ٣٢٧.

علاقة (العموم والخصوص) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾[سورة النّبإ: ٤٠].

نلمس في الآية الكريمة علاقة (العموم والخصوص) واضحةً في لفظة (المرء)، إذ دلّت على العموم (المؤمن والكافر)[٣٢]، ثمَّ ((خُصَّ بِالذِّكْرِ مِنْ عُمُومِ الْمَرْءِ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ))[٣٣] الّذي يتمنّى أنْ يكون ترابًا؛ لشدّة ما وجده من العذاب الأليم، فربطت هذه العلاقة الدّلاليّة جملتين متجاورتين، وعملت على تماسك النّصّ بما لها من تأثيرٍ في نفس المتلقّي في تدرج المعرفة من العموم إلى الخصوص.

٤. علاقة السّؤال والجواب:

وهي العلاقة الدّلاليّة الّتي تؤدّي مجموعةً من الوظائف داخل النّصّ، ومنها أنّها تقوم ببناء النّصّ، وربط أجزائه بعضها ببعضٍ بوساطة أدوات الاستفهام (هل، وأين، وما... إلخ[٣٤].

وتبرز أهمّيّة علاقة السّؤال والجواب في الرّبط بين القضايا داخل النّصّ، كما أنّها تُسهم بشكلٍ واضحٍ في ربط النّصّ بالسّياق في ضوء إحالة النّصّ على العالم الخارجيّ، أو الظّروف الاجتماعيّة[٣٥].

وممّا ورد من هذه العلاقة في سورة هودٍ وأخوتها في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[سورة هود: ٢٨ – ٣٢].

(٣٢) ينظر: التّسهيل لعلوم التّنزيل، ابن جزيّ: ٢/ ٤٤٧.

(٣٣) التّحرير والتّنوير، ابن عاشور: ٣٠/ ٥٨.

(٣٤) ينظر: علم لغة النّصّ، عزّة شبل: ٢٠٧.

(٣٥) ينظر: المصدر السّابق: ٢٠٨.

تضمّنت الآيات المباركة الحديث الّذي دار بين نبيّ الله نوحٍ عليه السلام وقومه، وقد بُني على أسلوب السّؤال والجواب، فالاستفهام الأوّل: طلب منهم أنْ يخبروه إنْ كان على حقٍّ فأكرمه الله بالنّبوّة، فالتبست عليهم هذه البيّنة فلم يعرفوها، ثمّ يأتي استفهامٌ ثانٍ وهو: أنلزمكم قبول النّبوّة وأنتم لها منكرون؟. وهو استفهام إنكاريٌّ، ثمّ أخبرهم عن قلّة طعامه في أموالهم، ولم يطلب منهم أجرًا على الإيمان، وأنّ ثوابه على الله، وأنّه لا يطرد المؤمنين الضّعفاء الّذين يحتقرونهم، ثمّ يأتي استفهام ثالثٌ وهو: مَن يمنعه مِن الله إنْ طرد المؤمنين؟. بعدها يأتي استفهامٌ رابعٌ: أفلا تذكّرون؟. ثمّ بيّن لهم أنّه لا يملك خزائن الله، ولا يعلم الغيب، ولم يكن مَلَكًا، ولا يقول لهم: أنّ هؤلاء الضّعفاء من المؤمنين أكرمهم الله بالإيمان، فإنّه يهدي من يشاء، وأنّ الله أعلم بما في أنفسهم، فكان جوابهم له أنْ يعجّل لهم العذاب[٣٦].

نلاحظ في النّصّ القرآنيّ الكريم أنّه بدأ بسؤال نبيّ الله نوحٍ عليه السلام لقومه، المبدوء بالهمزة ((أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ...))، ثمّ جاءت بعدها جملٌ عدّةٌ تضمّنت حججًا أدلى بها نبيّ الله نوحٌ عليه السلام، ولمّا عجز القوم عن جوابه جاءوا بجملةٍ أنزلت منزل الجواب ((قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا...))، ممّا أسهم في ربط آخر النّصّ بأوّله، عبر علاقة السّؤال والجواب، فضلًا عن لفت انتباه المتلقّي، وتشويقه لمعرفة جواب الاستفهام.

وممّا جاء من علاقة السّؤال والجواب في سورة الواقعة في قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [سورة الواقعة: ٤٧ – ٥٠].

ورد في النّصّ استفهامٌ يحكي حال الكافرين الّذين أنكروا البعث والحساب، فعبّروا عن ذلك باستفهامٍ إنكاريٍّ كنايةً عن الإحالة والاستبعاد، ثمّ عُطف عليه استفهامٌ آخر؛ لتوكيد الاستبعاد بإعادتهم إلى الحياة مرّةً أخرى، ثمّ جاء الجواب

(٣٦) ينظر: بحر العلوم، السّمرقنديّ: ٢/ ١٤٦-١٤٨، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحديّ: ٢/ ٥٧١.

الإلهيّ بالأمر بالقول؛ وذلك للاهتمام به، متضمّنًا جوابًا لسؤالهم، وهو جمع الأولين والآخرين في يومٍ واحدٍ(٣٧).

نلحظ في النّصّ القرآنيّ المبارك أنّ الحوار فيه بُني على أساس السّؤال والجواب، ممّا جعل النّصّ يترابط دلاليًّا عبر الانسجام الّذي حققّته علاقة السّؤال والجواب، فضلًا عن وضوح الفكرة ورسوخها لدى المتلقّي.

وتظهر واضحةً علاقة السّؤال والجواب في سورة المرسلات في قوله تعالى: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ [سورة المرسلات: ١٢ -١٣].

ورد في الآيات الكريمة استفهامٌ عن تأجيل حساب النّاس، وجاء الاستفهام تعظيمًا لذلك اليوم، وتعجّبًا من أهواله، ثمّ بيّن سبب التّأجيل، فقد كان ليوم القيامة، وعبّر عن يوم القيامة بيوم الفصل؛ لما يُفصل فيه بين الخلاق(٣٨).

نلحظ في النّصّ القرآنيّ المبارك علاقة السّؤال والجواب الّتي ربطت أجزاء النّصّ، وألّفت بين معانيه؛ ممّا جعلته منسجمًا، ومتماسكًا دلاليًّا، ومحافظاً على استمراريّته.

أمّا في سور النّبإ؛ فقد جاءت علاقة الاستفهام، ولم يكن يراد بها الجواب على السّؤال، وإنّما يخرج لأغراضٍ أخرى تُفهم من سياق النّصّ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [سورة النّبإ: ٦-١٧].

دلّت الآي الكريمة على قدرة الله تعالى على البعث، بدليل إيجاد أمورٍ هي أعظم من إعادة خلق الإنسان، ومنها جعل الأرض فراشًا منبسطًا، والجبال مثبّتةً لها، وخلق الإنسان أصنافًا من ذكرٍ وأنثى، ثمّ صيّر النّوم راحةً للأبدان، وجعل اللّيل سكنًا، والنّهار وقت معاشٍ،

(٣٧) ينظر: التّحرير والتّنوير، ابن عاشور: ٢٧/ ٣٠٨.

(٣٨) ينظر: الكشّاف، الزّمخشريّ: ٤/ ٦٧٨.

ثمّ بين إحكام خلق السّموات، وكذلك الشّمس المتوقّدة، بعدها ذكر إنزال المطر من السّحاب، وما له من أثرٍ في إخراج الحبوب من الأرض، ثـمّ يُختتم النّصّ ببيان يوم الفصل الّذي جعله وقتًا ومجمعًا وميعادًا للأولين والآخرين[٣٩].

يلاحظ في النّصّ القرآنيّ المبارك أنّه موجّهٌ إلى منكري البعث بصيغة الاستفهام التّقريريّ[٤٠] في جملة (ألم نجعل الأرض مهادًا)، ثمّ عُطفت عليها جملٌ عدّةٌ، وبهذا أسهم في تماسك أجزاء النّصّ وسيلتان نصّيّتان، الأولى: ظاهرةٌ شكليّةٌ هي (العطف)، والثانية: مستترةٌ دلاليّةٌ هي (علاقة السّؤال والجواب)، وهذا التّضافر في وسائل التّماسك ساعد بشكلٍ ملحوظٍ في ترابط وحدات النّصّ وانسجام معانيه.

٥. علاقة الشّرط بجوابه:

وهي من العلاقات الدّلاليّة الّتي تُسهم في بناء النّصّ، ولكنّها لا توجد بشكلٍ أساسيٍّ؛ لأنّ تواردها يقلّ نسبيًّا عن باقي العلاقات، ومن أدواتها: (لو، لولا، إذا، إنْ، من... إلخ) الّتي تربط جملة الشّرط بجملة الجواب[٤١].

ولا تقتصر أهمّيّة علاقة الشّرط بجوابه على ربط جملة الشّرط بجوابها، بل هي ((عمليّة توسيعٍ للجملة، بربطها بجملةٍ تاليةٍ لها، بحيث تكون الجملتان تركيبًا جديدًا متّسعًا))[٤٢].

وممّا ورد من علاقة الشّرط بجوابه في سورة هودٍ وأخواتها في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [سورة هود: ٨٠-٨١].

ذكر النّصّ القرآنيّ المبارك حديث النّبيّ لوطٍ عليه السلام مع قومه الّذين قصدوه في

(٣٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ: ١٩/ ١٧١-١٧٥.

(٤٠) ينظر: التّحرير والتّنوير، ابن عاشور: ٣٠/ ١٣.

(٤١) ينظر: آليّات الانسجام النّصّي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة(رسالة ماجستير)، آمنة جاهمي: ٩٧.

(٤٢) نحو النّصّ نقد النّظريّة وبناء أخرى، عمر أبو خرمة: ١٨٨.

داره؛ لينالوا من ضيفه، فحاول إقناعهم بالرّجوع فلم يستطع، وهنا تمنّى أنْ تكون عنده قوّةٌ بدنيّةٌ، أو قوّة أتباعٍ، أو كان لديه عشيرةٌ يدفع بها هؤلاء الكفّار عن ضيوفه، وجواب الشّرط محذوفٌ تقديره: لدفعتكم عن المعصية(٤٣).

وحينما سمع الملائكة كلام لوطٍ عليه السلام، أظهروا له أنّهم ((مرسلون لعذاب القوم وهلاكهم، فانج أنت بنفسك وأهلك، وسيروا أنت وأهلك بقطعٍ من هذا اللّيل، واخرجوا من ديارهم؛ فإنّهم هالكون بعذاب الله صبيحة ليلتهم هذه، ولا كثير وقتٍ بينك وبين الصّبح، ولا ينظر أحدكم إلى وراء))(٤٤).

نلحظ في النّصّ القرآنيّ المبارك، وفي الآية الأولى منه ورود أداة الشّرط (لو) الّتي ربطت بين جملة فعل الشّرط وجوابها المحذوف، ثمّ اتّسعت هذه العلاقة الدّلاليّة لتشمل الآية الّتي تليها، إذ كشف الملائكة الكرام أنفسهم لنبيّ الله لوطٍ عليه السلام عند سماعهم استغاثته الّتي عبّر عنها بالجملة الشّرطيّة، ممّا أسهمت هذه العلاقة في ربط أجزاء النّصّ، وانسجام معانيه بشكلٍ بارزٍ.

وجاءت علاقة الشّرط وجوابه في سورة المرسلات في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة المرسلات: ٣٩ - ٤٠].

خاطب الله تعالى المكذّبين، وتحدّاهم، بمعنى: إنْ قدرتم على حيلةٍ فاحتالوا لأنفسكم(٤٥)، ثمّ إنّهم يعلمون أنّ الحيل منقطعةٌ وغير ممكنةٍ، فخطابه لهم كان نهاية في التّخجيل والتّقريع، وهذا من جنس العذاب الرّوحانيّ؛ فلهذا قال عقيبه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾(٤٦).

نلحظ في النّصّ القرآنيّ الكريم أنّه بدأ بأداة الشّرط (إنْ) الّتي ربط بين جملة فعل الشّرط (كان لكم كيدٌ)، وجملة

(٤٣) ينظر: تفسير القرآن، السّمعانيّ: ٢/ ٤٤٨، والكشّاف، الزّمخشريّ: ٢/ ٤١٠، زاد المسير في علم التّفسير، ابن الجوزيّ: ٢/ ٣٩١.

(٤٤) الميزان في تفسير القرآن، الطّباطبائيّ: ١٠/ ٣٣٠.

(٤٥) ينظر: زاد المسير في علم التّفسير، ابن الجوزيّ: ٤/ ٣٨٦.

(٤٦) ينظر: التّفسير الكبير، الرّازيّ: ٣٠/ ٧٧٩.

جوابه (فكيدونِ)، ولمّا كانت الجملة الشّرطيّة قد جاءت تعجيزًا لهم، وتكذيبًا لادعاءاتهم؛ عقبها التّهديد بالويل لهم، وبهذه الحالة تكون علاقة الشّرط بجوابه قد كوّنت رابطًا قويًّا دلاليًّا بين وحدات النّصّ، وتراكيبه الّتي تجاوزت الجملة الشّرطيّة إلى ما بعدها.

وأمّا في سورة التّكوير؛ فقد أسهمت علاقة الشّرط بجوابه في بناء النّصّ في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [سورة التّكوير: ١ -١٤].

تضمّنت الآي القرآنيّة الكريمة مجموعةً من الأهوال المخيفة الّتي تحدث من قبل يوم القيامة، ومن بعده، كما أنّها افتتحت بأداة الشّرط (إذا) الّتي تستدعي متعلّقًا؛ لأنّ الشّرطُ يؤذن بذكر جوابٍ بعده، فإذا سمعه السّامع ترقّب ما سيأتي بعده طلبًا للجواب، وقد كُررت كلمة (إذا)، وتعدّدت الجمل الّتي أضيفت إليها، فبلغت (١٢) مرّة، فإعادة كلمة (إذا) بعد (واو) العطف في هذه الجمل المتعاطفة إطنابٌ، وهذا الإطناب اقتضاه قصد التّهويل(٤٧).

يلاحظ في النّصّ القرآنيّ المبارك أنّه بدأ بجملة فعل الشّرط، ثمّ تلتها جملٌ شرطيّةٌ عدّةٌ، ولم يأتِ جواب الشّروط لهذه الجمل إلّا في نهاية النّصّ، وهو ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾(٤٨)؛ ممّا أفاد تأخير الجواب شدّ انتباه المتلقّي عبر تشويقه لمعرفة ذلك الجواب، كما يلاحظ كثرة وسائل الرّبط المتوافرة في هذا النّصّ، مثل (السّجع، والتّكرار، والعطف)، فضلًا عن علاقة الشّرط بجوابه الّتي أسهمت في بناء النّصّ، فكان نصًّا مترابطًا ومنسجمًا، شكليًّا ودلاليًّا.

وفي ضوء ما تقدّم من التّحليل

(٤٧) ينظر: التّحرير والتّنوير: ٣٠/ ١٤٠.

(٤٨) ينظر: الأساس في التّفسير، سعيد حوّى: ١١/ ٦٣٩٢.

النّصّيّ لسورة هودٍ وأخواتها، يتبيّن لنا أنّ للعلاقات الدّلاليّة تأثيرًا واضحًا في ربط أجزاء النّصّ، وانسجام معانيه، فقد يستشعر المتلقّي تماسك النّصّ دلاليًا، غير ناظرٍ إلى أدوات الرّبط الشّكليّة.

الخاتِمة:

لقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى على الباحثِ بالتَّوفيقِ والعونِ، فأتمَّ هذا الجهدَ المُتواضعَ، الَّذي حوى مادَّةً تتضمَّنُ السّياق وأثره في انسجام النّصّ في سورة هودٍ وأخواتها.

ومن جملةِ الأمورِ الَّتي توصَّلَ إليها الباحثُ وأكَّدَها في بحثِهِ ما يأتي:

١. أسهمت العلاقات الدّلاليّة في ربط أجزاء النُّصوص وانسجام معانيها، وهذا ما يستشعره المتلقّي من تماسك النّصّ دلاليًا، غير ناظرٍ إلى أدوات الرّبط الشّكليّة.

٢. شكّلت علاقة الإجمال والتّفصيل عاملًا مهمًّا بشكلٍ في إيجاد حالة الرّبط والتّماسك الدّلاليّ بين آيات النّصّ القرآنيّ المبارك، كما ساعدت في شدّ انتباه المتلقّي نحو النّصّ.

٣. تعدّ علاقة السّبب بالنّتيجةّ من العلاقات المنطقيّة الّتي تُعطي للنّصّ صفة المعقوليّة في تتابع القضايا النّصّيّة؛ ممّا يساعد على ربط أجزاء النّصّ وتماسكها، وترسيخ المعاني لدى المتلقّي.

٤. تبرز أهمّيّة علاقة السّؤال والجواب في الرّبط بين القضايا داخل النّصّ، كما أنّها تُسهم بشكلٍ واضحٍ في ربط النّصّ بالسّياق في ضوء إحالة النّصّ على العالم الخارجيّ، أو الظّروف الاجتماعيّة.

٥. أسهمت علاقة الشّرط بجوابه في بناء النّصّ، إلّا أنّها لا توجد بشكلٍ أساسيٍّ؛ لأنّ تواردها يقلّ نسبيًّا عن باقي العلاقات في (سورة هودٍ وأخواتها).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- الأساس في التفسير، سعيد حوّى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- بحر العلوم، أبو اللّيث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت٣٧٣هـ).
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن جزيّ الكلبي (ت٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- التّعريفات، عليّ بن محمّد بن عليّ الزّين الشّريف الجرجانيّ (ت٨١٦هـ)، ضبطه وصحَّحه جماعة من العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلميّة بيروت -لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض -السعودية، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.
- التّفسير الكبير، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التّيميّ الرّازيّ الملقّب بفخر الدّين الرّازيّ خطيب الرّي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التّراث العربيّ -بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد

الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- التّوقيف على مهمّات التّعاريف، محمّد عبد الرّؤوف بن تاج العارفين بن عليّ ابن زين العابدين الحداديّ ثم المناويّ القاهريّ (ت١٠٣١هـ)، تحقيق: الدُّكتور عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدّين الأنصاريّ الخزرجيّ القرطبيّ (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاريّ، دار عالم الكتب، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي -بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- كشّاف اصطلاحات الفنون، محمّد عليّ الفاروقيّ التّهانويّ (ت١١٥٨هـ)، تحقيق: الدّكتور لطفي عبد البديع، مطبعة السّعادة، مصر.
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي،

أبو إسحاق (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ –٢٠٠٢م.

- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، د. محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١م.
- من قضايا الفكر اللّسانيّ، في النّحو والدّلالة واللّسانيّة، صابر الحباشة، دار المنهل، ٢٠٠٩.
- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطّباطبائيّ، دار المجتبى للمطبوعات، إيران –قم، ط١، ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م.
- نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، د. عمر أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، إربد –الأردن، ط١، ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، قدّمه وقرظه: د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١، ١٤١٥هـ –١٩٩٤م.

الرسائل والأبحاث:

- الاتّساق والانسجام في رسائل الجاحظ، سعيد عبد الحميد غائب (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية للعلوم الإنسانية/ ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠١٧م.
- آليات الانسجام النصي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء، آمنة جاهمي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ٢٠١٢م.
- خطاب الضعف في القرآن الكريم دراسةٌ في ضوءِ علمِ لُغةِ النَّصِّ، وسن عبد علي عطية الخفاجيّ، أطروحة دكتوراه، جامعة القادسية، كليّة الآداب، ٢٠١٥م.